

الموضوع الثامن: نظرية الغرس الثقافي

1- **ظهور النظرية:** ظهرت نظرية الإنماء أو الغرس الثقافي في الولايات المتحدة الأمريكية خلال عقد السبعينات من القرن الماضي، حيث جاءت كمنظور جديد لدراسة أثر وسائل الإعلام.

يرتبط ظهور هذه النظرية بنتائج مجموعة من البحوث قام بها "جورج جرينر" و زملائه تتعلق بالمؤثرات الثقافية بهدف محاولة إقامة الدليل الامبريقي على تأثير وسائل الإعلام على البيئة الثقافية، و قد ركزوا فيها على ثلاث قضايا متداخلة هي:

- دراسة العمليات المؤسسية، الهياكل و الضغوط التي تؤثر على إنتاج الرسائل الإعلامية.
- دراسة الرسائل و القيم و الصور الذهنية التي ترسمها وسائل الإعلام.
- دراسة الإسهام المستقل للرسائل الجماهيرية على إدراك الجمهور للواقع الاجتماعي (العلاقة بين التعرض إلى الرسائل التلفزيونية و معتقدات الجمهور و أنماط سلوكه).

و بحوث تحليل الإنماء (الغرس) هي تلك البحوث التي حاول من خلالها هؤلاء الباحثون الإجابة على السؤال المرتبط بهذه القضية الأخيرة، و هدفها هو تحديد المدى الذي يمكن أن تساهم به رسالة إعلامية معينة في إدراك مفاهيم الواقع الاجتماعي بطريقة مشابهة لتلك المفاهيم التي تحملها هذه الرسالة.

2- **الإنماء أو الغرس و الثقافة:** يعتبر الباحث "مورقان Morgan" من جانبيه نظرية الغرس أو الإنماء نظرية ثقافية في المقام الأول، و أما مفهوم الغرس فيشير إلى الإسهام المستقل و المحدد الذي تساهم به وسائل الإعلام في عمليتي التنشئة الاجتماعية و التنقيف، و يمكن وصف عملية الإنماء أيضا بأنها نوع من التعلم العرضي الذي ينتج عن تراكم التعرض للتلفزيون.

يرى "هاوكنز" و "بنجري" أن عملية الإنماء تتضمن عنصرين أساسيين يتمثلان في التعلم العرضي (غير المقصود)، و مهارات الاستدلال المعرفي، حيث يؤدي اهتمام المشاهد بما يراه على الشاشة إلى تعلم حقائق و قيم التلفزيون، كما تصبح برامج التلفزيون مصدرا لمعلومات المشاهد عن الواقع الاجتماعي. لذا فنموذج الغرس يتضمن نتائج تراكمية للتعرض المتكرر و الثابت للرسائل على المدى الطويل، و يقوم على مفهوم تمرير ثقافة المجتمع إلى الفرد أكثر من مجرد التغييرات المحدودة من الآراء و السلوك. و عملية الغرس أو الإنماء أيضا ليست أحادية الاتجاه من وسائل الإعلام إلى الجمهور، بل هي عملية ديناميكية مستمرة للتفاعل بين الرسائل و السياقات.

إن تأثيرات الوسيلة على تكوين و بناء البيئة الرمزية هي تأثيرات معقدة و متداخلة مع تأثيرات أخرى، و هو ما يفترض وجود تفاعل بين الوسيلة و الجمهور، فالعوامل الديمغرافية و الثقافية تحدد الشكل أو الدرجة التي يحتمل أن تشارك بها وسائل الإعلام في عملية الغرس، ومن ثم تسهم هذه العوامل في حد ذاتها في عملية الغرس.

3- **مفهوم الثقافة:** الثقافة عبارة عن تنظيم رمزي تنمي معتقداتنا عن الوجود و عن الأولويات و القيم و العلاقات، و تتكون الثقافة من مجمل الفنون و العلوم و الدين و القانون و المهارات و الصور الذهنية و الحكايات و الموسيقى و الغناء... و الصور الذهنية التي يعكسها التلفزيون تتيح تعميمات لدى الأفراد عن البيئة الإنسانية من خلال بناء رمزي.

و الثقافة من جهة أخرى هي السياق الذي تصبح فيه التجارب واعية، و هي نظام من القصص و الأشياء المصطنعة، يزداد إنتاجها بشكل جماهيري، و هي تتوسط بين الوجود و وعي الإنسان بهذا الوجود، و تسهم بالتالي في كلاهما.

4- افتراضات نظرية الغرس أو الإنماء:

- التلفزيون وسيلة متميزة للإنماء مقارنة بوسائل الإعلام الأخرى.
- تكوّن رسائل التلفزيون نظاما ثقافيا متماسكا يعبر عن الاتجاه السائد.
- إن تحليل مضمون رسائل التلفزيون يقدم علامات و مفاتيح لعملية الغرس (الإنماء).
- يركز تحليل الغرس (الإنماء) على مساهمة التلفزيون و وسائل الإعلام الأخرى في نقل الصور الذهنية، و صيغة تفكير الجمهور و اتجاهاته نحو القضايا المختلفة على المدى البعيد.
- يركز تحليل الإنماء (الغرس) على النتائج الخاصة بشيوع و تدعيم الاستقرار و الانسجام بين أفراد المجتمع.
- تزيد المستحدثات التكنولوجية الحديثة من وصول الرسائل التلفزيونية إلى الجمهور.

5- مفاهيم نظرية الغرس:

أ- **الاتجاه السائد:** يعبر الاتجاه السائد عن الأمور الأكثر عمومية و استقرارا في المجتمع، و يمثل الأبعاد الأكثر شيوعا للمعاني و الافتراضات المشتركة، و يضم كل الأمور المعارضة و الفرعية.

و بسبب الدور الفريد الذي يقوم به التلفزيون في حياتنا، فإنه يعكس الاتجاه السائد لثقافة المجتمع، فهو يقدم عادات يومية و صور ذهنية يشترك فيها ملايين من الأفراد من كل الطبقات و الاهتمامات، كما

يتيح التلفزيون قائمة محدودة من الاختيارات التي تعكسها البرامج، و تنوع غير محدود من الاهتمامات و الشخصيات.

يمكن أن نفكر في الاتجاه السائد كنظرة مشتركة نسبيا و مجموعة من القيم التي يتبناها كثيفي المشاهدة و التعرض و يتوحدون معها بصورة تراكمية، و بالتالي، فإن كثرة التعرض للتلفزيون يمكن أن تساعد على تضيق الفروق في الاتجاهات و السلوك عن الوضع الاعتيادي الذي يحدث من العوامل و التأثيرات الأخرى.

و بمعنى آخر، فإن الفروق التي توجد بين المبحوثين من جماعات المشاهدة المختلفة نتيجة تنوع الظروف الاجتماعية و الثقافية و السياسية لهذه الجماعات يمكن أن تقل أو تختفي لدى المبحوثين من كثيفي المشاهدة و تتجه إلى التلاشي.

يتضمن مفهوم الاتجاه السائد بعدين هما:

✓ يتمثل البعد الأول في سعي التلفزيون إلى تقديم رسائل ثابتة و متجانسة لجذب عدد كبير من الجماهير.

✓ يقصد بالبعد الثاني مشاركة كثيفي التعرض و المشاهدة في هذه الصور و المعتقدات العامة التي يغرسها التلفزيون، و بالتالي تتلاشى الاختلافات الناتجة عن العوامل الاجتماعية.

يشير الاتجاه السائد إلى المكون الأول من مكونات عملية الغرس التي أشار إليها "جرينر" فما أسماه ب 3 B'S و هي:

- التلاشي Blurring

- الانسجام (الاندماج) Blending

- التحول أو الثني Bending

ب- الرنين **Resonance**: الرنين هو الموقف الذي يؤدي فيه إدراك الفرد المباشر للبيئة الحقيقية إلى زيادة تأثيرات الغرس بالنسبة للمواقف المتشابهة التي يتم عرضها تلفزيونيا.

ت- النافذة السحرية **Magic Window**: يشير هذا البعد إلى الدرجة التي يعتقد عندها المشاهد أن محتوى التلفزيون هو تمثيل للحياة الحقيقية.

ث- **التعلم (المنفعة) Utility:** يقصد بالتعلم مدى شعور المشاهدين أن المحتوى التلفزيوني يقدم إليهم معلومات في العديد من الموضوعات، و إمكانية استخدام الأفراد هذه المعلومات في حياتهم الحقيقية.

ج- **التوحد Identify:** يشير هذا البعد إلى الطريقة التي يتم من خلالها تكوين المشاهد لعلاقته مع الشخصيات التلفزيونية.

6- **الإجراءات المستخدمة في بحوث تحليل الإنماء:** تستهدف بحوث الإنماء قياس نتائج التعرض التراكمي لوسائل الاتصال الثقافية.

يبدأ تحليل عملية الإنماء بالتعرف على الأنماط التي يتم تكرارها في المحتوى التلفزيوني، مع التأكيد على اتساق و تجانس الصور الذهنية و الصور المنعكسة و القيم التي تبثها البرامج و ربطها بمستوى تعرض الفرد للتلفزيون و مدى إدراك الواقع بنفس الطرق التي تعكسها البرامج مع مراعاة مقارنة الخصائص الديمغرافية للجمهور.

يمكن قياس الإنماء أو الغرس عبر أسلوبين أو مستويين هما:

أ- **مقاييس المستوى الأول:** يشمل نتائج تحليل محتوى البرامج التلفزيونية التي تعكس الاتجاه السائد، و مقارنتها بتوقعات المبحوثين الكمية عن حدوث بعض الظواهر في المجتمع، و يتم قياس الفروق بين كثيفي المشاهدة و قليلي المشاهدة للتعرف على مدى الإنماء التلفزيوني.

ب- **مقاييس المستوى الثاني:** يهتم المستوى الثاني بتحديد المعتقدات التي يغرسها التلفزيون عن العالم الحقيقي، و يتم ذلك من خلال تصميم بعض العبارات التي تقيس الاتجاهات الاجتماعية نحو ظاهرة معينة، و عقد مقارنة بين كثيفي المشاهدة و قليلي المشاهدة لتحديد مدى مساهمة التلفزيون في التأثير، و هو ما يعرف بفروق الإنماء.